

"20 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (5707) السنة الحادية والعشرون - الاثنين (15) تموز 2024

www.almadasupplements.com

فخرية

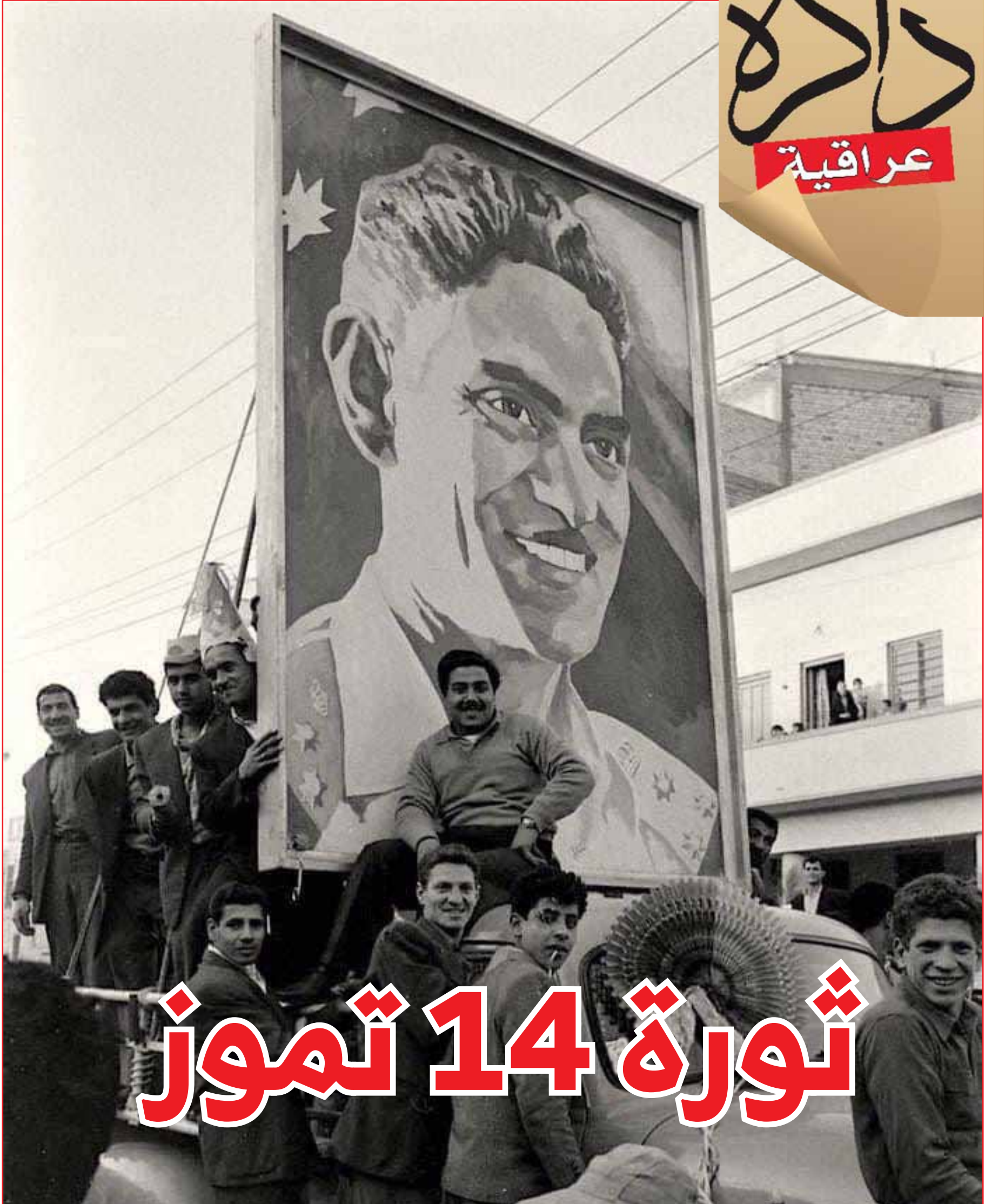


رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

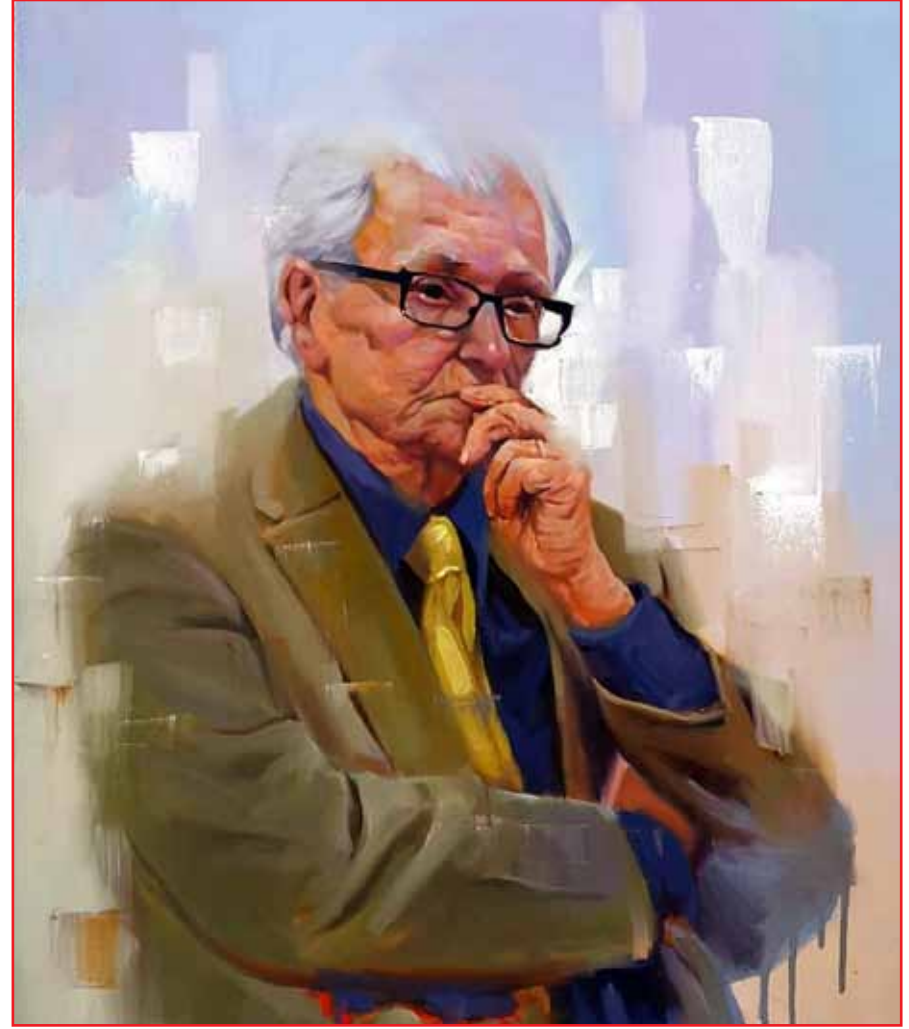
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

ذاكرة
عراقية

ثورة 14 تموز



لقاءات مع زعيم ثورة 14 تموز



د. فائق بطي

له فقط وتكاد ان تكفي، ابتسم واجابني: ما بالك قبل ايام تلك الوجبة التي شاركتني فيها انت و ابو فرات (الجواهري الكبير)؟

كانت غرفة الزعيم هي مكتبه وغرفة الاستقبال والطعام والنوم التي كانت مرتبة المنام تقترش الارض ليستلقي عليها ما مدله ثلاث ساعات بعد منتصف ليل كل يوم.. - في إحدى هذه الزيارات، كنت بصحبة لطفي بكر صدقي، صاحب جريدة (صوت الأحرار) اليسارية، وهو صديق قديم للزعيم، لننقل له احتجاجات الصحفيين والكتاب على ما تنشره الصحف (الصفراء)، العهد الجديد لأحمد زكي، والشرق تحريضية وشنائم وبغداد لخضر العباسي، من مقالات تحريضية وشنائم رخيصة ضد أصحاب الصحف الوطنية واليسارية المدافعة الأمانة عن الثورة ومكاسبها، وكنت مبادراً إلى طرح الشكاوى بصفتي من مؤسس نقابة الصحفيين ومسؤول لجنة الرقابة فيها، فالتفت الزعيم إلى لطفي ودار بينهما الحديث التالي:

قال عبد الكريم: وأنت ما هو رأيك؟

لطفي: مع ما قاله زميلي.

كريم: وماذا تريدون مني؟

لطفي: كرومي.. هل تقرأ هذه الصحف؟

كريم: عن طريق التقارير التي يعدها لي الرئيس سعيد الدوري، المرافق الصحفي.

لطفي: ولماذا تسكت على هذه الأكاذيب والأساليب الرخيصة.

كريم: هذه سياسة!

لطفي: أية سياسة يا كرومي ونحن أصدقاء منذ سنوات طويلة.

كريم: الموازنة بين اليسار واليمين.

لطفي: هذه سياسة خطيرة، وأنت زعيم يحبك الشعب لوطنتك وشجاعتك.

كريم: دعني أطمئنك بأن الثورة سوف تحقق المزيد من المكاسب.

لطفي: لهذا السبب أنت في خطر.

ابتسم الزعيم وقال: انا مع الشعب.. والثورة جاءت من اجل هذا الشعب ومن اجل الفقراء، وانا لا اهاب أي شيء، فحياتي ملك الفقراء.

- كانت جريدة (البلاد) قد انتقلت من محلة جديد حسن باشا في القشلة، إلى شارع السعدون - كراة خارج - مقابل السفارة الأمريكية من الجهة الثانية المطلة على شارع النضال. وكنت قد أنهيت خدمتي في الاحتياط وعدت من معسكر الشعيبة لأتولى رئاسة تحرير الجريدة، إلا أن مديرية الاستخبارات والأمن العامة رفضت الموافقة على الطلب لاسباب غامضة. فبادرت الى وضع اسمي على "ترويسة" التعريف كمدير للتحرير، وهو اول استحداث اوجدته في الصحافة العراقية.

انكسبت على العمل لتجديد صفحات وابواب الجريدة، ومن ضمن ذلك التجديد، وكنت في حينها غاضبا على سياسة الزعيم فيما يتعلق بشن الحرب على الحركة الكردية في ايلول 1961 وفيما يتعلق بالعفو عن الذين حاولوا اغتياله، في حين، بدأت سلطاته باعتقال العناصر الشيوعية واليسارية وفق سياسة "عفا الله عما سلف"، فقامت بحذف ركن "من اقوال الزعيم" واستبدلت بتصميم صفحة المحليات بتصميم جديد.

في صبيحة اليوم التالي، اتصل بي المرافق الصحفي سعيد الدوري، وابلغني استغراب الزعيم من حذف الركن الخاص باقواله. لم اعرف كيف ابرر ذلك، وكانت مفاجأة لي، فحاولت ايجاد حجة سريعة، فلم أجد سوى أن اكذب كذبة بيضاء حبا بالزعيم، بأن ما حدث هو من باب "سقط سهوا"، فضحك الدوري وقال: أنت تعرف أن الزعيم أول ما يقرأه في البلاد هو ما تختاره من اقواله في هذا المربع العزيز عليه وعلينا جميعا، فعاد الركن إلى

مكانه حتى اخر ايام عبد الكريم قاسم.

كنت في الكثير من الأيام امكث في الجريدة حتى ساعة متأخرة من الليل، أقف في شرفة كبيرة تطل على الشارع العام، أدخن ما طاب لي من السجائر، لأنني مدمن عليها بشكل جنوني، كما كنت أتداول شؤون الصفحة الاولى مع مسؤولها منير رزوق، حين مر الزعيم بسيارته وحيدا مع سائقه، وتوقف امام المبنى، وهو يشير عليّ بالنزول. هممت بالقفز على سالالم المبنى وأنا بين الاستغراب والمفاجأة، لاجده يخرج رأسه من النافذة، ويسألني: ماذا أعددت لنا من اقوال في عدد الغد؟ وبكل بساطة وهدوء اجبته: ما يريدك الناس منك يا زعيمنا. لم اصدق انه يطلب بنفسه قولاً بل شعاعاً كان يكرره في كل خطبه وفي كل المناسبات. قال اريد ان اكون دوما نصيراً للفقراء، فانا عشت طيلة حياتي فقيراً اقدم للمعوزين الذين اصادفهم ما يتبقى من راتبي كضابط... قاطعته: لهذا يحبك الفقراء. ابتسم وشد على يدي قائلاً: ما تطلب شي يا ابو البلاد.

استغللت هذه الفرصة وقلت له:

- ارجوك يا قائد البلاد ان تعيد للصحافة كرامتها التي بدأت تفقدها على يد الجهلة وأعداء الثورة من المستترين وراء مظاهر تأييدك.

قاطعني وهو يهز يده السليمة بصيغة الاستفسار:

- ماذا تعني؟

- صحف الرجعية تشتمنا بعبارات قبيحة دون رادع أخلاقي.

- مثلاً؟

- جريدة الشرق كتبت تحت باب "الف ذي عاهة وعاهة" وفي معرض هجومها على محررة عندنا هي سلوى زكو بقولها البذيء... كل دنك شارع الرشيد ب... .

احتد وطلب مني مقابلته صباح الغد..

عن مذكرات الدكتور رفائيل بطي



ثورة 14 تموز 1958 والأدباء العراقيون

اللقاء الأول بين عبد الكريم قاسم والشاعر الجواهري

د. عقيل الناصري

يصف الجواهري في مذكراته اول لقاء معه مع عبد الكريم قاسم بقوله:

في المحققة العسكرية بلندن... كانت بعثة عسكرية خاصة تضم ملحقين وموفدين من ضباط يتسابقون علي ويجرني الواحد بعد الآخر من أرادني؟ وكان بينهم ضابط شاب، كان من دونهم، أشد إلحاحا علي بأخذ حصة أكبر، أو الحصة الكبرى من الجلسات واللقاءات، من جملة ذلك أن اصطحبيني إلى بيته وهو شقة متواضعة بملحقها. هذه (الدورة) شهدت ثلاثة لقطات، تصح أن تكون على بساطتها ذات كلمة ومغزى، لما سيكون لهذا الرجل من دور خطير في تاريخ العراق... لم يكن هذا الرجل سوى عبد الكريم قاسم. اصطحب الزعيم قاسم، الجواهري إلى مختلف مناطق لندن ليطلعه على معالمها، بعدما نفر من البرنامج الموضوع لهم ومن صحبة بعض الصحفيين الذين كانوا معه ضمن الوفد. كما كان قاسم بمثابة مترجم له عند مراجعة الأطباء وزيارة المعالم الثقافية. كان قاسم معجبا أيما إعجاب بالجواهري الكبير، في كثير من مواقفه السياسية المناهضة لسياسة نخبة الحكم وارتباطها ببريطانيا وفي دفاعه عن الفقراء والمحرومين، وفي قضاؤه الشعرية موضوعة وهدفا، المتميزة بالصورة الجمالية وصفاء اللغة، وسلمها الموسيقي المنفرد في انسيابيته. في ذات الفترة يسافر الوصي عبد الإله إلى لندن، حيث كان يقضي إجازته فيها، وقد أرسل في طلب الجواهري، وتحادث معه طويلا حول ترشيحه إلى الانتخابات النيابية، وطلب إليه تمديد إقامته في لندن ليعود معه في وقت واحد إلى بغداد. لكن الجواهري اعتذر له لعدم امكانية بقائه لمدة أطول في لندن، إذ كان متضاميا من اقامته فيها... خرج الجواهري من اجتماعه بعبد الإله متوجها إلى الموعد مع صاحبه (الضابط برتبة رائد)، حيث حجز له موعدا مع طبيب الأسنان وفي الطريق تحدث إليه عن الانتخابات النيابية المزورة، وخلو مجلس النواب من أصوات وطنية محترمة، لكن الضابط انتقل بالحديث، إلى حفلة المساء الماضي وأبدى دهشته وارتياح الجواهري على كرنواليس. وأخذ يترجم له الخبر المنشور تحت الصورة في الجريدة وخبر رويترز قائلا ببراءة أن الشعراء مسموح لهم كل شيء، وهم يشكون من عدم وجود الحرية. أما نحن العسكريين، فلا نتمتع بأية حرية ولا نشكو من انعدامها."

بعد ذلك، كان قاسم (يتابع موافقي الوطنية والاجتماعية، وبخاصة الشعرية منها. وكنت الوحيد الذي يناديني بـ "الأستاذ" أمام أتباعه وغيرهم وفي أكثر من موقف...". كما كان قاسم منذ بدء علاقته... صادقا في كل الصدق وأميناً كل الأمانة ونظيف كل النظافة في حفاظه على تلك العلاقة، وصحيح كذلك أنه لم يصل مدني واحد في العراق هذه الدرجة من الثقة والوطادة والعلاقة... حتى وصل الحد به إلى أنه أعلن وهو يفعل ما يقول: أنني لا أرد طلبا للجواهري..."

وفي الوقت ذاته أشار قاسم في خطاب له أمام وفد الأدباء العراقيين بتاريخ ١٩٥٨/٩/١٣ إلى علاقته بالجواهري الكبير بالقول: "... تربطني بالجواهري صداقة ومودة قديمة مبعثها شخص الجواهري كصديق، وحبي للأدباء والأدب وحملة الرأي الناقد ورسالة الثقافة الذين يوجهون أبناء الشعب باتجاه مستقيم ويخلقون في الشعب روح النبل والشهامة التي ترفع من معنوياته واندفاعه، إن حملة الأقلام وأصحاب الرأي والفكر من الأدباء والكتاب منهم والشعراء المخلصين، لهم فضل في توجيه الرأي العام توجيهها سليما. لقد أخبرت الجواهري قبل هذا بأن الحركة التي قمنا بها كانت نتيجة اندماج قوى الجيش والشعب معا حيث أصبحنا قوة حطمت نظام الحكم البائد وما ثورتنا إلا نتيجة الكفاح المشترك من الناس المخلصين في هذا البلد وفي طليعتهم الأدباء..."



إن لم نقل زبائنية، إذ يطرقون بابه بغية حصولهم على مكانة لهم في شعر الجواهري. وبالعكس من قاسم الذي كان ينظر إليه كذات إبداعية كبيرة ووعي سياسي وأديب مكافح... وهنا يسوق د. الأعرجي إلى واقعة ذات دلالة فيقول: فقد كان يحزن في نفسه أن هذه الأحزاب العراقية يوم تقسم المناصب السياسية، أو يوم يُخيل لها أنها ستقسم لا ترى فيه أكثر من شاعر، ومن هنا كان يروي بمرارة أنه زار الزعيم عبد الكريم قاسم ذات مرة في مقره بوزارة الدفاع، فوجد الفقيه الأستاذ عامر عبد الله عنده، فكان في جلسة عامر ما يوحي أنه أعطى ظهره للجواهري، وتنبه الزعيم إلى ذلك فقال لعامر بشيء من العصبية: عامر، هذا الأستاذ الجواهري!

فعدل من جلسته.

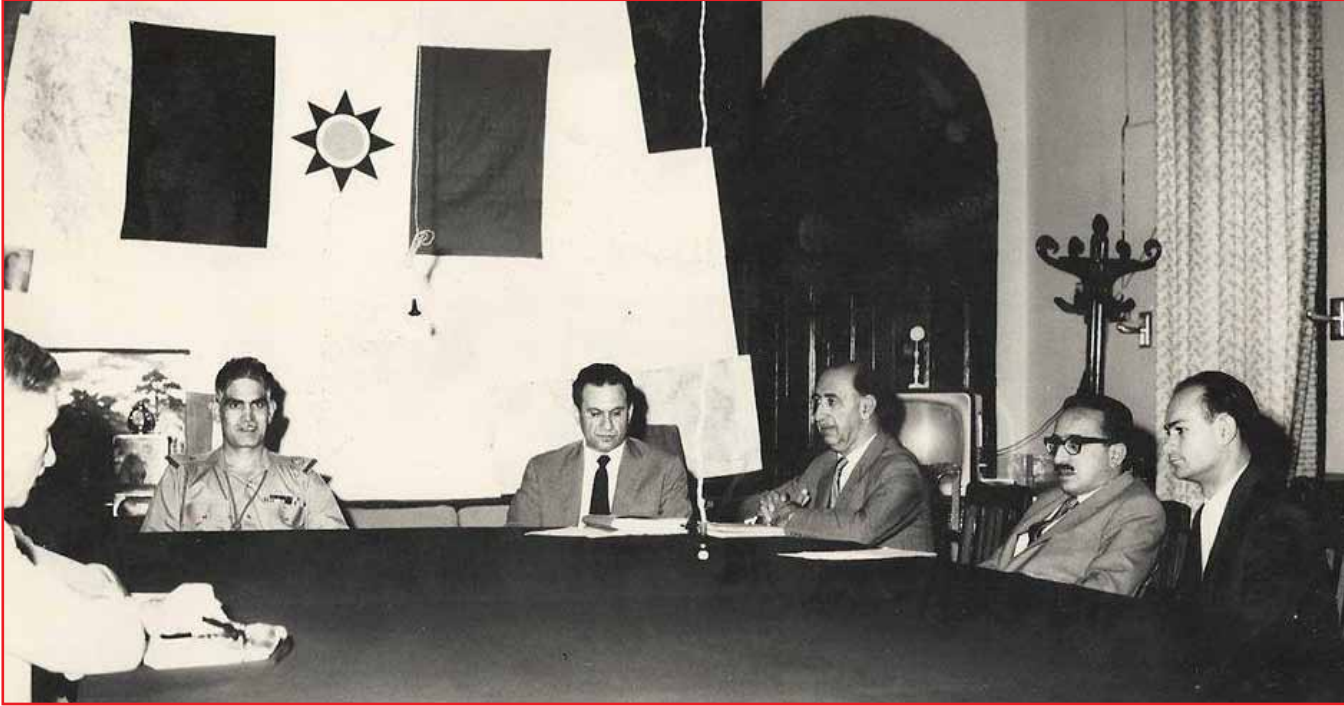
هذه الصفة التي تمتع بها الجواهري في دفاعه وتبنيه مطالب الجماهير الفقيرة وتوجهه مع معاناتهم، هي التي دفعت قاسم أكثر فأكثر إلى لقبها، كمشروع مشترك ومعلم أدبيا رفيعا، والذي كان آنذاك في خضم التهيئة لانضاج البعد الذاتي لحركة الضباط الأحرار. وفي الوقت نفسه إعجاب الشاعر العميق في لاوعيه يومها بشخصية عبد الكريم قاسم وهو يبحث الخطى في اشباع جزء من الحاجات المادية للجماهير الواسعة من الفئات والطبقات الكادحة التي دافع الجواهري عنها وتوحد معها ومع تطعاتها. ثم انكست هذه العلاقة ضمن خارطة الجديدة للقوى السياسية وموقف كل منهما إزاء ما كانت الحياة تطرحه من ضرورات والتزامات، من مهام وأعمال، وما رافقها من صراع سياسي/فكري طال المجتمع العراقي بكل مكوناته عموديا وأفقيا، وبالتالي أوجد ما أوجد من تفسيرات مختلفة ومتباينة لحل مثل هذه الإشكاليات. وحدث الافتراق بينهما والذي كان للبعد الذاتي فيه دورا كبيرا لكلا الطرفين.. وإن كان للجواهري الكبير وروحه المتمردة ونرجسيته العالية القبح المعلى في ذلك وعدم تحقيق "أحلام الجواهري التي كانت قد لازمته أربعين عاما في أن يصبح وزيرا... ومن شعوره العميق بأنه هو الزعيم الحقيقي الذي عليه أن يوجه وليس سواء سواء أكان هؤلاء الزعماء زعماء سياسيين، أم جمهورا، أو احزابا."

المتوج الذي اسمه الجواهري أن توحد في مرحلة الاربعينيات بالناس توحد يكاد يكون تاما، واشتهر بينهم بصفته شاعرا سياسيا فريدا... "في كل عصور الشعر العربي... أما سبب فراقه فهو أنه نقل الشعر السياسي من موضوع إلى ذات... إن ما تحدث به الشاعر عن هموم الجماهير لم يكن من همومها هي وحدها، وإنما كان من هموم الشاعر نفسه، ولكن لهذا الشاعر من المهبة الأصيلة ما يجعله يلتقط من همومه ما هو إنساني، لا ما هو خاص به...". استمر هذا الفراق المؤجل لغاية ثورة ١٤ تموز حيث تجددت العلاقة بينهما ثانية بعد جديد ذا علاقة خاصة ومضامين بنائية مستهدفة.. وقد تقاسم الصديقان الزعامة!! عبد الكريم قاسم زعيم السلطة السياسية. والجواهري زعيم السلطة الثقافية وزعيم الصحافة". وكان عبد الكريم قاسم... يتعامل مع الجواهري صديقا وسياسيا، كما هو شاعر كبير، فيشاوره في الأوضاع السياسية، ويجالسه طويلا في الإنبوع أكثر من مرة... وهذا ما لم يحظ به الجواهري من أي زعيم عراقي أو غير عراقي حيث كانت علاقته بهم ذات صفة نفعية

بعد عودتهما من لندن أخذ الوهن يتسرب إلى هذه العلاقة كما أخذت اللقاءات تتباعد، بسبب طبيعة عمل الزعيم قاسم العسكري ونضاله السري لأجل تغيير الحكم حسب طريقته الخاصة. وفي الوقت نفسه نضال الجواهري السياسي السلمي بالكلمة والنضال السلمي التحريضي لتهيئة بعض من ظروف مخاض التغيير المرتقب ومستلزماته، ضمن دائرة رؤيته لذاته التي تعتمل داخليا وبصورة عفوية قوية على سجيته: "لعل الجواهري يحس في قرارة نفسه بأنه لا أحد يصلح لقيادة العراق سواه...". ويشعر في قرارة نفسه أنه أكبر من أي رئيس، وأرفع قدرا من أي ملك...". بمعنى آخر عاد الجواهري إلى بغداد ولم يعد يذكر صاحبه الضابط في لندن ولا الضابط كانت تسمح له التزاماته العسكرية وطبيعته الشخصية ومشروعه الخاص، بتوسيع دائرة علاقته في بغداد، والاتصال بشاعر سياسي كالجواهري، وغيره من السياسيين العاملين ضمن خارطة التغيير المرتقب في عراق تلك المرحلة. خاصة والجواهري كان أشهر من نار على علم، حيث... عرف عن هذا الملك غير

شهادة محمد حديد عن التهيؤ لثورة 1958

هل كان عبد الكريم قاسم من الوطنيين الديمقراطيين؟



شبكة

في شهر آب 1956 بدأ أول اتصال لتنظيم الضباط الاحرار بالحزب الوطني الديمقراطي، وقبل حوادث العدوان على مصر. اتصل بي السيد (كامل الجادرجي) وطلب مني الحضور الى داره وقد حضرت مساءً واجتمعنا (الجادرجي والسيد حسين جميل وأنا) فأخبرنا السيد (حسين جميل) بأن شخصاً ما قد اتصل به وهو مرسل من جانب جماعة من الضباط وان لديهم تنظيماً وفي نيتهم القيام بحركة للتخلص من النظام القائم وهم يسألون عن موقف الحزب الوطني الديمقراطي ويطلبون التأييد والمساندة، وبعد التداول اتفقنا بأننا نؤيد هذه الحركة، ولكن لانلتزم في هذه المرحلة بالاشتراك معهم أو مسؤولية الحكم وأن يبقى الاتصال مستمراً معهم.

وواصلت أنا السفر الى بغداد التي وصلتها فجر يوم الخامس عشر من تموز.

وذهبت الى دار المرحوم (كامل الجادرجي) للتداول معه ومعرفة التفاصيل، وما جرى بيني يوم الجمعة المصادف 7/11 الى يوم 7/14 وكان في الدار جماعة من الحزب الوطني الديمقراطي وغيرهم، وكذلك كان السيد (محمد مهدي كبة) والسيد (ابراهيم كبة) وغيرهم كثيرون، ولقد تداولنا في أمر الثورة والأوضاع السائدة فاتفقنا على ضرورة المشاركة الفعالة والتأييد والدعم بكل قوة لنجاح الثورة وضمان بقائها، وقد اثير موضوع تدخل القوات الخارجية، سواء كانت من الاردن او غيرها وكذلك بعض الاشاعات حول عدم ولاء بعض قطاعات الجيش للثورة، وقد لاحظت في هذا اليوم بأن الاستاذ ابراهيم كبة كان مرتبكاً وقلقاً لهذه الاشاعات لاسيما ان مصير نوري السعيد لا يزال مجهولاً ولم يلق القبض عليه بعد.

لقد وافق الحزب من حيث المبدأ، بعد دراسة الوضع ومسؤولية النظام وضرب بقائه فترة قد تكون طويلة، على تغيير النظام بواسطة الثورة، لأن الاساليب الديمقراطية والدستورية قد انعدمت تماماً في العراق ولم يبق أي مجال لتغيير النظام المرتبط بالاستعمار الا بهذه الطريقة.

أعتقد أن السيد عبد الكريم قاسم كان من مؤيدي الحزب الوطني الديمقراطي قبل الثورة بمدة طويلة جداً، وعندما قرر الاتصال بالمدنيين كان مع الحزب الوطني الديمقراطي و اراد التعاون معنا بشكل قوي جداً كان يطلب المشورة منا قبل الثورة وهو يؤيد منهج الحزب الوطني الديمقراطي وسياسة (الأهالي) منذ القدم، ومشعب بأرائها ومعجب بمواقفها، وكان يصرح بأنه لن يقوم بالثورة الا بمساندة ومشاركة الحزب. وبعد الثورة وقف عبد الكريم قاسم عدة مواقف مناصرة الحزب ووقف موقفاً حاسماً تجاه عبد السلام عارف في معارضته بمنح امتياز -جريدة (الأهالي) - أعطى أمراً قطعياً الى عبد السلام عارف بضرورة منح الامتياز الى (الأهالي) وكانت له الكثير من المواقف لحماية أعضاء الحزب الوطني الديمقراطي من الهجوم والاعتداء من بعض العناصر المتطرفة.

من اللقاء الذي اجراه الاستاذ نصير الجادرجي مع حديد في العاشر من حزيران 1977

ستحدثت في العراق ترافقها اجراءات عنيفة قد تكون مهمة وضرورية، ومن المحتمل الانسحاب الوقوف ضدها، لهذا فمن المستحسن أنانساهم فيها أو تكون مسؤولين عنها، وبعد فترة الانتقال يشترك المدنيون في الحكم.

أما رأي السيد (محمد مهدي كبة) فقد كان مع الاشتراك حتى لو كانت هناك بعض التحفظات.

وبعد ذلك ابغيت السادة المجتمعين برأي الضباط وشروطهم التي ابغون بها، وهو ضرورة اشراك الحزبين في الحكم والافسوف تؤجل الحركة على أقل تقدير، فكان هذا هو العامل الحاسم في اتخاذ قرار المشاركة بالمسؤولية، وبعد ذلك فوضت بإخبار الضباط الاحرار بالموافقة على الاشتراك في المسؤولية وتأييد الحركة من جانب الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال وضمناً موافقة جبهة الاتحاد الوطني لوجود اتصالات منفردة بهذا الشأن كنا نقوم بها بقيادة الاحزاب الاخرى والتداول معهم بصورة عامة.

أما اخبار الثورة والمداوات التي كانت تجري بيننا وبين مندوب الضباط الاحرار السيد (رشيد مطلق) فكننت قد اطلعت عليها الاستاذ الجادرجي في سجنه، أولاً بأول فقد كان هذا يطلب من الضباط حرصاً على الكتمان ولم يطلع عليها أي عضو من الحزب الوطني الديمقراطي.

تم اخباري بالثورة مساءً يوم الجمعة الموافق 11/7/1958 وكننت موجوداً في الموصل بسبب وفاة والدي واقامة مجلس الفاتحة هناك. تلقت بريقة رمزية من قبل السيد (رشيد مطلق) "بتوقيع رشيد" يقول فيها: بأن صاحب الارض وافق على أن يكون سعر المتر بـ 14 ديناراً. ففهمت بأن هناك امراً مهما سيحدث يوم 14 تموز.. وفي صباح يوم الرابع عشر من تموز علمت عن طريق الراديو بأن الثورة قد اندلعت، فخرجت الى الشارع وخطبت بالجماهير في الموصل. وبعد الظهر اتصل بي امر الموقع المرحوم (ناظم الطبقجلي) واخبرني بأن قادة الثورة في بغداد يطلبون حضوري الى بغداد، ووضعت سيارة عسكرية تحت تصرفي وتم الاتصال بالاستاذ المرحوم (عبد الجبار الجومرد) ايضاً، فتركنا الموصل بعد الظهر، ولكن الاستاذ الجومرد تخلف في كركوك لإصابته بمرض طارئاً فيما اعتقد، فتخلف في كركوك

هذا الامر ممكن. وعلى أقل تقدير تدبير الأمور وتمشية أمور الدولة خلال الشهور الستة الأولى على اسوأ الاحتمالات، وانهم كانوا يطلبون ويلحون علي حول اشتراكي في المسؤولية وبالتحديد أعطائي منصب وزير المالية.

وبعد ذلك أرادوا أن يتعرفوا على رأي الجادرجي حول اشتراكه في توليه مسؤولية الحكم كرئيس للوزراء، فاتحت الجادرجي في السجن فأعترت نهائياً عن قبول هذا المنصب لاسباب كثيرة.. منها قديمة تكمن بتجربته السابقة مع بكر صدقي، وكذلك كان رأيي ان الثورة التي سوف تحدث في العراق ستراقها احداث غير اعتيادية وعنيفة ربما تكون ضرورية للاطاحة بالنظام القائم ومجيء نظام وطني يتطلب اجراءات معينة للمحافظة عليه وأنه شخصياً لا يريد ان يساهم في مسؤولية القيام بها، ومع هذا فإنه يؤيد الثورة بكل قوة وماملكه الحزب الوطني الديمقراطي من امكانية.

وبعد ذلك جرى الحديث حول دخول الجادرجي في الوزارة وبقي الامر معلقاً ومتروكاً الى ربيع عام 1958 حينما طلب منا تحديد موقف ثابت ومحدد من الاشتراك والمساهمة في الثورة، على أن يكون بحث هذا الامر من قبل حزبنا وحزب الاستقلال وحصر هذا الموضوع بالأشخاص التالية وهم:

السيد كامل الجادرجي، السيد محمد مهدي كبة، السيد صديق شنشل، وأنا..

لكي تبقى أمور الثورة واخبارها بين هؤلاء السادة فقط زيادة بالحيطة والحذر، وقد حدث الاجتماع في ربيع سنة 1958 في سجن بغداد وفي غرفة الاستاذ كامل الجادرجي فيه.

تداولنا في هذا الامر كثيراً، فكان رأي السيد (صديق شنشل) متفقاً في التهيئة والتأييد والمشاركة والمسؤولية، أما السيد (كامل الجادرجي) فقد كانت لديه بعض التحفظات بخصوص المشاركة وكان رأيي ان نؤيد الحركة بكل مالدنا من قوة وجميع المجالات والاشترك بالتحضير الى الثورة ومساندتها وابداء كل المشورات المطلوبة وانه يفضل ان يتحمل الضباط مسؤولية تولي الحكم اول الأمر ولفترة انتقال قصيرة جداً ومحددة، وبعد أن تستقر الأوضاع وتتم تصفية المعوقات المهمة للعهد السابق بشكل سريع وحاسم لأن الثورة التي

بعد حصول العدوان على مصر واعتقال بعض قادة الحركة الوطنية وصدور الحكم على الجادرجي ودخوله السجن، بدأت المحادثات حول تأليف جبهة الاتحاد الوطني بين الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال وفي احدى الاجتماعات اخبرنا السيد (فائق السامرائي) بأن هناك حركة بالجيش وانهم مستعدون للقيام بها ضد النظام القائم والاطاحة به.

وفي أواخر سنة 1956 أو في بداية سنة 1957 فوحت من جانب السيد رشيد مطلق بحركة الضباط الاحرار عندما كنت مديراً لشركة الزيوت النباتية وكان السيد رشيد يتعامل مع شركتنا لتنظيم الدعاية والاعلانات الخاصة بالشركة، وكننت الاجتماعات تتم في مقر الشركة ولا تجلب أي انتباه لوجود التعامل التجاري مع السيد رشيد. حيث اخبرني بأن هناك حركة للضباط الاحرار وأن رئيس التنظيم هو الزعيم الركن عبد الكريم قاسم وان الحركة اصبحت ناضجة ومهيئة للقيام بمهمتها وان الزعيم عبد الكريم قاسم يريد معرفة موقف الحزب الوطني الديمقراطي والمساهمة في هذه الحركة، فأخبرت السيد الجادرجي وكان حينذاك في السجن مدار بيبي وبين السيد رشيد مطلق، فقررنا ان نتشاور في الموضوع ونؤيد الحركة وجرت مباحثات حول شروط الحزب في تأييد الحركة، انها يجب أن تتبنى ميثاق جبهة الاتحاد الوطني وتطبيق المبادئ الاساسية التي يؤمن بها الحزب الوطني الديمقراطي والمذكورة في منهاجها والافكار التي كان ينادي بها، فوافق الضباط على ذلك وقالوا بأنهم يؤيدون هذه المبادئ وانهم مستعدون لتطبيقها وانهم على استعداد لتطبيق المبادئ والأسس التي ستقر بعد نجاح الحركة التي من المؤمل أن تكون أكثر وضوحاً وتطوراً.

وقد جرت مباحثات اخرى كثيرة وكان من أهمها تخوف الضباط من القضايا المالية والمتاعب المحتملة التي قد تثار في حالة نجاح الحركة من قبل الاستعمار وهي قطع تدفق النفط وتجديد الأرصة الاسترلينية ومشاكل أخرى. كان هذا الموضوع محل تخوف كبير من الضباط، فكان سؤالهم:

هل يمكن حل هذه القضية؟ فكان جوابي بأن هذا الأمر يجب ألا يكون سبباً معرقلاً لقيام الثورة، وان معالجة

عبد الكريم قاسم

نشأ في محلة شعبية فبقي قريباً من الفقراء

د. سامي الصقار



أن عبد الكريم قاسم من أبناء محليتي في بغداد (المحلة تعبير أداري يرجع إلى العصر العثماني، معناه الحي، ولا يزال مستعملاً بهذا المعنى في العراق وتركيا. ويتولى رئاسته شخص يسمى (المختار) لأن أهل المحلة هم الذين يختارونه، ويطلق هذا الاسم أيضاً على رؤساء القرى، كما هو الحال في فلسطين). أما محليتي فتسمى (الست هدية) نسبة إلى زوجة أحد الخلفاء العباسيين، وقد كان لها ضريح بقبة بقي قائماً حتى أواسط الثلاثينات من القرن العشرين، فهدم (مع الأسف الشديد) عند أنشاء (ساحة زبيدة) الواقعة في شارع غازي (الكفاح حالياً) عند اتصاله بشارع الأمين. وكان في تلك القبة يحفظ علم المحلة الذي كان يحمل في المظاهرات والاحتفالات.

وهذه المحلة التي كان عمي (السيد عبد المجيد الصقار) مختارها، هي من المحلات القديمة، وأغلب سكانها من أسر عريقة، وكان أبناء عشيرتي يشكلون أكبر كتلة سكانية فيها، ولذلك يطلق عليها أحياناً اسم (محلة الصقارة) وقد اشتهر من أبناء هذه المحلة نجار أخرس هو (رشيد الأخرس) الذي تصدى في ثورة ١٩٢٠ لمصفحة بريطانية في شارع الرشيد بفأس النجارة، فقتلته. وقد أدى تسامح أهل المحلة وترحيبهم بالغرباء إلى استيطان أعداد غير قابلة منهم فيها، وكان بينهم بعض التركمان واليهود. وقد برز بين السكان الأصليين عدد من الشخصيات البارزة، بينهم بعض الضباط في الجيش العثماني، (مثل المقدم ناجي الصقار والعقيد أحمد قاسم القيسي والعميد خليل إبراهيم الحداد والعميد علي قنبر والمقدم سلمان مروان والعقيد محمود فياض العلي) وغيرهم ممن دخلوا في الجيش العراقي عند تشكيله سنة ١٩٢٠، فتولوا مناصب مهمة فيه (عدا ناجي الصقار الذي رفض العمل بحجة أن الجيش قد تشكل في ظل الاحتلال البريطاني) وعلاوة على هؤلاء كان هناك من أبناء المحلة شخصيات سياسية مثل جميل المدفعي (الذي تولى رئاسة الوزراء عدة مرات) والحاج محمود رامز النائب المزمع وصاحب الصوت المدوي بالمعارضة في مجلس النواب، والأستاذ حسن رضا القاضي الكبير ورئيس محكمة التمييز، ومنهم اللواء شاكر محمود رامز الذي شغل وظيفة مساعد لرئيس أركان الجيش العراقي في العهد الملكي، ثم عين مديراً عاماً للطيران المدني.

وكان من أبناء هذه المحلة إبراهيم الحداد (ويشتهر باسم برهم) الذي كان رئيس صف الحدادين في بغداد، ويعد تقدمه في السن تولى تلك الرئاسة (وتسمى مشيخة) قريبة وزوج أبنته (عبد الرحمن الجدة). وهناك (الحاج محمود البنية) وهو الذي شيد الجامع المعروف حالياً ببغداد، وكان رئيس صف البقالين، و (أسطة قنبر)



ضجيجا. وقد تزوجت أبنته من شخص لا أتذكر اسمه الأول، يسمى (ابن حميد) كان كاتب الضبط الأول في محكمة جزاء بغداد التي يرأسها (عبد العزيز الخياط) أشهر قضاة العقوبات في زمانه. أما حميد هذا فكانت أخته زوجة لحلاق أهل المحلة، وقد عرف بلقب (تونة) ولا أعرف سبب تلك التسمية رغم أنني كنت أخلق شعري لديه. كان قاسم عديلاً لقصاب من أهل محلة (المهدية) المجاورة لمحلتنا وأسمه (عباس البعنون)، وهو من عائلة امتهنت القصابة، شأنها شأن أكثر سكان تلك المحلة الذين يرجعون في أصولهم إلى عشيرة (المهدية) التي تقيم بجوار مدينة المقدادية. (شهربان القديمة) وهي من أعمال لواء (ديالى). وعباس شخص محترم، كان له دكان في سوق الأغا (عند تقاطع شارع الرشيد

رئيس صف البنائين، وضمت المحلة نفسها عدداً غير قابل من الحدادين والبنائين والخياطين والبقالين، وغيرهم من أصحاب المهن. وكان بين سكانها (قاسم والد عبد الكريم) الذي كان (خراطاً للخشب، ويسمى لدى العامة جراح - وهي كلمة تركية بالمعنى نفسه) وهو الذي يهذب قطعة الخشب الخام ويصقل جوانبها ويحكم استدارتها فتصلح يداً للفأس والمطرقة، كما يتولى زخرفة بعضها بما يحضره من الدوائر والأخاديد المحيطة بها، فيجعلها قوائم للكراسي والأرائك والطاولات، وهو الذي يصنع أحجار (طاولة الزهر). وقاسم هذا كان شخصية محترمة، كنت أراه أيام طفولتي في مقهى المحلة المسمى (قهوة عباس أفندي)، وكان يميل إلى الهدوء وإلى شيء من العزلة وبخلاف رواد المقهى الآخرين الذين يملأونها

مع شارع الأمين)، وكان الأغنياء من بين زبائنه، وكان يجهز البلاط الملكي باللحوم، لقد انجب قاسم ولدين هما (حامد وعبد الكريم وأنجب عدليه عباس البعنون (فاضل وأولاده آخرين). أما عبد الكريم فقد كان من الأذكى الجادين الذين لا يميلون إلى الاختلاط، دخل الكلية العسكرية وبرز فيها، كما برز في الخدمة العسكرية بعد تخرجه، فتأهل لدخول كلية الأركان مما فتح الطريق أمامه للتقدم في السلك العسكري، دون أن يكون له سند من عائلته، وهذه مزية عرفها العراق منذ تأسيس الحكم الوطني فيه سنة ١٩٢٠، أي تقدم أبناء العامة الأكفاء بدون عائق. ويتضح مما تقدم أن عبد الكريم قاسم نشأ في بيئة شعبية عربية نقية، عاش فيها المثقفون إلى جانب أصحاب الحرف اليدوية في وئام تام وتضامن، وكانهم أسرة واحدة، ولذلك فلا غرابة أن نرى العميد عبد الكريم الجدة (وهو أمين عبد الرحمن الجدة شيخ الحدادين) الذي صار أمراً للانضباط العسكري في عهد قاسم، نراه يدافع بنفسه عن قاسم في مبنى وزارة الدفاع حتى النفس الأخير، عندما دهشته إحدى الدبابات فقتلته. كما لا غرابة أن نرى الضابط الشاب (كنعان الحداد) الذي أعدم قاسم في دار الإذاعة، إذ هو ابن العميد خليل الحداد، أمر شرطة القوات السيارة في أواخر الثلاثينات، وهو (أي خليل) أمين إبراهيم الحداد أنف الذكر، وخليل هذا هو خال عبد الكريم الجدة القاتل في وزارة الدفاع. في الحقيقة أن عبد الكريم قاسم حاط نفسه بضباط هم من صميم الشعب العراقي، من ذلك مثلاً اللواء أحمد صالح العدي، رئيس الأركان، فهو من محلة (حمام المالح) المجاورة لمحلتنا، ومساعدة العميد سعدون المدفعي، وهو من محلة (الفضل) القريبة. أما العميد مجيد جليل فهو من أبناء قرية صغيرة في لواء ديالى تسمى (منصورية الجبل) وأبوه مزارع بسيط أعرفه شخصياً. ويمكن تعميم هذه المقولة على كثيرين ممن استعان بهم عبد الكريم، بمن فيهم أمين خالته (فاضل المهدي) الذي عينه رئيساً لمحكمة الثورة، فهو ابن قصاب، وعمه قصاب أيضاً.

أن عبد الكريم قاسم مهما قيل عنه من قبل خصومه، فلا يوجد أحد منهم يمكنه أن ينكر عفة يده ولسانه. أن الرجل عاش طيلة مدة حكمه عيشة الجندي في تكنته، إذ كان ينام حيث مكتب عمله في وزارة الدفاع ولا يذهب لتفقد بيته إلا لماماً، وهو بيت متواضع من بيوت اليهود الذين غادروا العراق، ووضع تحت إدارة مؤسسة الأملاك المجددة، وكان أيجاره الشهري ١٥ ديناراً وقد كان مجاوراً لبيت صديق لي (وهو أيضاً من تلك الأملاك)، ولكن صاحبني فصل من وظيفته عقب حركة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨، والطريف أن قاسم كان قبل الحركة يلاطف أطفاله الذين كانوا يعتلون الجدار الفاصل بين الدارين، غير أنه أفنقدهم عندما كان يذهب إلى بيته حيث منهم أهام من ذلك. وأستطاع في إحدى المرات أن يلمح أحدهم، فسأله عن أحواله، فبكي الطفل، وقال ان والده قد فصل من وظيفته فأمر بدراسة ملفه في الحال، وأعادته إلى وظيفته، إذ كان فصله ظلماً وعدواناً.

في الحقيقة أن قاسم كان بعيداً جداً عن المنافع المادية حيث أنه أكل إلى العميد عبد الكريم الجدة الألف الذكر ليقبض راتبه (وهو راتبه العسكري)، إذ رفض أن يمنح راتب رئيس الوزراء (وتوزيعه على الفقراء الذين كانوا يمر بهم في جولانه التقشيرية. ويكفيه عنه أنه يوم قتله لم يكن في جيبيه سوى ربع دينار! أما بالنسبة لعفة لسانه فيكفي القول بأنه تعرض من الأجهزة الإعلامية لبعض الأقطار العربية إلى شتائم يأبى الحياء التلطف بها، بل ناله من بعض الزعماء العرب الكثير من الطعون والانتقادات الباطلة، مما زحرت به وسائل الإعلام، أما هو فلم يسمح لسانه أن يذكر بالسوء أحداً ممن أساء له على الإطلاق.



ثورة 14 تموز وأول وزيرة في تاريخ العراق

موفق خلف العلياي

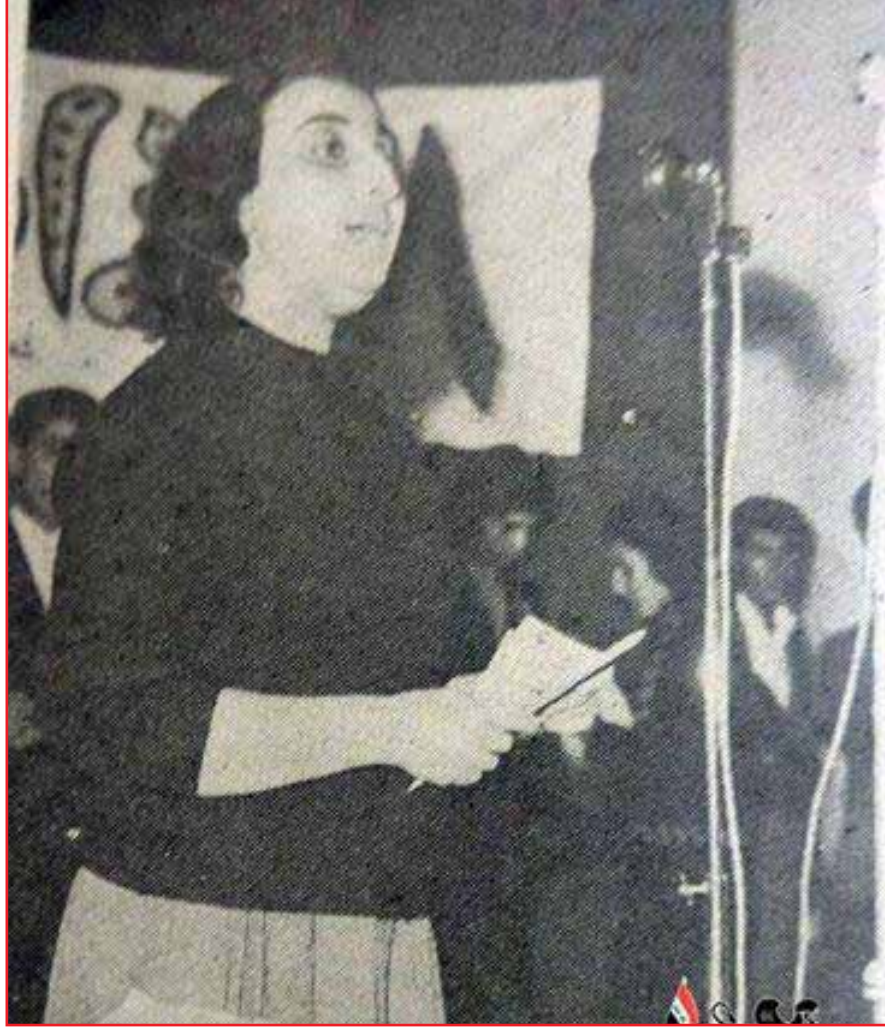
في ساعات الفجر الأولى ليوم الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، أذيع بيان الثورة الأول من إذاعة بغداد، وعلى أثر سماعه، نزلت الدكتورة نزيهة الدليمي من بيتهم الكائن في الأعظمية، متوجهة إلى الشارع العام هدفها تنفيذ تعليمات الحزب الذي تضمنها التوجيه الداخلي الصادر يوم الثاني عشر من تموز، إذ تقول عن ذلك: " خرجت أنا من بيتنا في شارع المغرب وتوجهت إلى الشارع العام، وبعد عدة خطوات كنت وسط المظاهرات القادمة من الأعظمية ومن الكاظمية عبر الأعظمية، وقبل إن نصل إلى البلاط، شاهدت سلام عادل وهو يرتدي سترة وينطولنا، وبالنسبة لي رأيت أول مرة بتلك الهيئة وليس بالملابس العربية التي كان يتنكر بها، وأقرب مني قائلاً: أنني الآن قادم من البريد حيث أرسلت برفقة بإسم اللجنة المركزية تهنئة بانتصار الثورة... وكان هذا، بعد العمل السري الطويل شيئاً هزنا تماماً... وبعد ذلك قال عليكم أن تنشطوا من أجل نشر شعارات الحزب في هذه المظاهرة وأن لا تكونوا سلبيين.. لأن مختلف القوى السياسية في الشارع، وأشار إلى مجموعة قليلة من المتظاهرين تحمل صور عبد الناصر، فأكد ما جاء في التوجيهات الحزبية (ضرورة تجنب إبراز شعارات مبهمه أو متطرفة أو تلك التي تمجد هذا الزعيم أو ذاك من قادة الحركة الوطنية أو العربية على حساب طمس شعاراتنا الأساسية).

وبعد هذا الكلام وبعد أن سار إلى جوارى عدة مئات من الخطوات أندمج مع خضم المتظاهرين وتوارى عن نظري. وسرت في المظاهرات حتى عبرت معها إلى جانب الكرخ عبر جسر الشهداء، وكان الناس يعبرون عن فرحتهم بتقديم اللبن البارد أو الشربت البارد، وبالهاهل من قبل النساء، وكانت شعارات الحزب الشيوعي تصل إلى الناس بالهتافات والهوسات المنطلقة من الحناجر في جو من الحماس والفرح الغامر. وظلت الشوارع الرئيسية في بغداد بجانب الرصافة والكرخ تعج بمئات الألوف من الناس حتى ساعة بدء منع التجول مساءً.

كان الحزب قد اصدر في اللحظات الأولى للثورة تعليمات إلى أعضائه، تضمنت تشكيل لجان شعبية للدفاع عنها، وفي اليوم التالي، أي الخامس عشر من تموز بعثت اللجنة المركزية للحزب، برفقة إلى رئيس الحكومة عبد الكريم قاسم أكد فيها على ضرورة تشكيل مثل تلك اللجان، وفي يوم التاسع عشر منه أصدرت الحكومة قانوناً يقضي بتشكيل لجان للمقاومة الشعبية.

نشطت الدكتورة نزيهة الدليمي بالدعوة إلى الانخراط في لجان المقاومة الشعبية، وطلبت بإشراك المرأة فيها، وذلك من خلال زيارة وفد رابطة الدفاع عن حقوق المرأة برئاسة الزعيم عبد الكريم قاسم في الثاني عشر من تشرين الأول عام ١٩٥٨، إذ طالب من الأخير ضرورة إشراكهن جدياً في فصائل المقاومة الشعبية بالتدريب الفعلي والعمل الواسع النطاق، كما يظهر توجه الدكتورة نزيهة الدليمي في هذا الاتجاه من خلال دعوتها النساء إلى الانضمام للجان المقاومة الشعبية، وذلك في مقابلة صحفية أجرتها معها جريدة الزمان البغدادية، إذ دعت فيها النساء إلى التسجيل والانتماء إلى تلك اللجان، كما أنها شاركت بوفد ضم عدد من الشخصيات الشعبية والحزبية التقى الزعيم عبد الكريم قاسم في الرابع من كانون الأول عام ١٩٥٨، وطلبت من خلاله الحكومة بإطلاق حرية الرأي والتعبير، عن طريق إجازة الصحف التي يمكن إن تسهم في تنوير الجماهير، وتعبئتها فكرياً ضد أعداء الثورة.

عليه يمكن القول أن الدكتورة نزيهة الدليمي كانت قد كثفت من نشاطها وبفعالية كبيرة في أحداث ثورة تموز عام ١٩٥٨، ويظهر ذلك من خلال دعوتها لمتنق جبهة الاتحاد الوطني والتوقيع عليه، كما إن نشاطها في صفوف الحزب الشيوعي العراقي تنظيمياً، وميدانياً،



شغلت الدكتورة نزيهة الدليمي منصب وزيرة البلديات، لتكون أول امرأة في تاريخ العراق والمشرق العربي الحديث تصل إلى منصب وزاري، وذلك بعد أن أصبح المرسوم الجمهوري سابق الذكر نافذاً من خلال نشره في جريدة الوقائع العراقية.

تعددت الآراء في موضوع تعيين الدكتورة نزيهة الدليمي في منصب وزاري، فمنهم من يعتقد بان عبد الكريم قاسم أراد أن يعيد ذلك مظهراً من مظاهر تقدمية نظامه، وأن يثبت للعالم الخارجي أن العراق أول دولة عربية تقدم



على مثل هذه الخطوة، في حين عده آخرون حلاً وسطاً أكد استقلالية عبد الكريم قاسم من جهة، وهذا الشيوعيين من جهة أخرى، مقابل التراجعات التي قدموها بإيقاف حملتهم التتقيفية للاشتراك في السلطة، وأن ذلك تم بالاتفاق بينها وبين عبد الكريم قاسم لسد النافذة التي فتحتها الحزب الشيوعي، بمطالبتها بالاشتراك بالوزارة، وأن اختيارها كوزيرة لم يكن له تأثير في سياسته.

الراجح في أمر تعيين الدكتورة نزيهة الدليمي في الوزارة هو محاولة عبد الكريم قاسم كسب ود الشيوعيين، وإقناعهم بأنهم اشتركوا في الوزارة عن طريق حصول نزيهة الدليمي على وزارة البلديات، كما انه لم يكن يعدها شيوعية فاعلة ومؤثرة، وبالتالي فهي لا تؤثر في سياسته، وهذا ما أكده تقرير السفارة الأمريكية في بغداد إلى خارجيتها الذي نص على: " أن هذه التعيينات جاءت حلاً وسطاً بين عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي، إذ ليس فيهم من هو شيوعي معروف"، وكان تعليق السفارة البريطانية في بغداد حول ذلك التقرير قول سفيرها: " أنني أؤيد هذا التقويم وأعتقد انه ينبغي أن ينظر إلى هذه التعيينات كأقل ما يعتقد قاسم انه ملزم بتلبية من مطالب الحزب الشيوعي للمشاركة في الحكومة التي لا تكون مجازفة تثير ردة فعل عنيفة من الشيوعيين وفيما لو كان هذا صحيحاً فأن هذه التعيينات لا تطابق سياسة قاسم الأكثر شدة تجاه الشيوعيين مؤخراً".

وأكد ذلك وزير الخارجية العراقي هاشم جواد عن لقائه بالسفير البريطاني في بغداد، إذ قال له: " لا يوجد أي وزير في الحكومة منتم للحزب الشيوعي، وحتى نزيهة الدليمي فما هي إلا ذليلة لهم، مثلما كان عوني يوسف نياليا للملا مصطفى البرزاني"، أما عن مدى معرفة نزيهة الدليمي بأمر تعيينها كوزيرة، وهل كان بالاتفاق مع عبد الكريم قاسم، فالراجح انه لم يكن صحيحاً، إذ أنها تذكر في لقاء معها نشرته جريدة الشرق الأوسط في السادس والعشرين من تشرين الأول عام ٢٠٠٧ " اتصل بي مرافق الزعيم في ذلك الصيف القائظ من عام ١٩٥٩ طالباً مني الحضور إلى وزارة الدفاع، لم أكن أملك ثمن التاكسي، لذلك ركبت الباص رقم (٤) الذهاب إلى الباب العظيم، حيث تقع وزارة الدفاع، ثم نزلت وسرت مسافة طويلة تحت الشمس الحارقة، من البوابة الخارجية حتى بلغت مكتب قاسم، وأنا أتساءل عن سبب استدعائي. وبعد لقائني به قال انه بصدد استحداث وزارة جديدة للبلديات وطلب مني اقتراح هيكل لها وان أكون وزيرتها، نظرت له بدهشة وقلت أنا مواطنة بسيطة وطبيبة لا تفهم شيئاً بالوزارات، لكنه ضحك وشجعني قائلاً انه يتق بي وقدرات النساء على المشاركة في بناء البلد".

عن رسالة (نزيهة الدليمي ودورها السياسي)



ثورة 14 تموز وإسكان فقراء الصرائف كيف أنشئت مدينة الثورة؟



د. حيدر عطية كاظم

ثورتنا سوف تستمر بالحق وبالعدل، إن ثورتنا سوف تستمر طالما يوجد هؤلاء الفقراء وهم على شظف من العيش حتى يكون عيشهم مرفها رغداً، والحمد لله كلنا فقراء والفقراء عيال الله ونحن عيال الله."

وفي سياق اهتمام عبد الكريم قاسم المتواصل بموضوع إسكان أصحاب الصرائف قام شخصياً بافتتاح الشارع الذي أوصى بتعبيده، والذي ربط ساحة الطيران بالقرية التي أمر ببنائها والتي تكونت من ٩١١ داراً والتي هي أول مدينة كبيرة لأصحاب الصرائف عرفت فيما بعد بـ "مدينة الثورة". لم يشأ عبد الكريم قاسم للمناسبة أن تمر دون أن يؤكد بعض من أفكاره وتعهداته السابقة، منها، إن المشروع من شأنه القضاء على معاناة بعض سكاني الصرائف، مشيراً في الوقت نفسه بحتمية القضاء على الصرائف في بغداد، كما أطلق عبد الكريم قاسم على ذلك الحي أسم مدينة الثورة. ندعه هنا يوضح ذلك: "إن هذا الشارع الذي نفتحته هذا اليوم تكمن أهميته بأنه يمر عبر السدة الشرقية بين أماكن بعثت فيها الصرائف وامتدت على يمينها ويسارها"، واسترسل قائلاً "وإنني أعد أبناء الشعب سوف لن يجدوا أي صريفة بعد مرور مدة تزيد على خمس سنوات"، ومضى في خطابه ليعلم اسم المدينة التي رعى تكونها رعاية خاصة لإخوانه الفقراء أصحاب الصرائف فقال: "لقد أنشئت لأخواني الفقراء أصحاب الصرائف، هؤلاء سوف يسكنون بيوت مريحة أنجز منها هذا العام ما يقارب الألف دار تفتتح في اليوم السادس عشر من تموز الأغر".

تدفقت مشاعر عبد الكريم قاسم وهو يفتتح أول حي عصري في مدينة الثورة يوم ١٦ تموز ١٩٦٠ تدفق الأنهار وعبر فيها عن مكنون نفس كبيرة ومحبة صادقة للفقراء ورعاية حقيقية لهم، الذين أسماهم بإخوانه أكثر من مرة في خطاب الافتتاح موضوع البحث من الأهمية أن ننقل عدة فقرات من ذلك الخطاب الذي استنله بقوله: "السلام عليكم إخواني أبناء وسكان الصرائف المنتشرة في أرجاء العراق، إن ثورتنا سوف تبقى منطلقة حتى تتمكن من رفع المستوى اللائق لكم أيها الإخوان، وتصبحون كلكم في عداد الأغنياء المرفهين العاملين المخلصين في هذا البلد". ثم قطع على نفسه وعد باستمرار الثورة ما دامت هناك صرائف فقال: "إن الثورة لن تتوقف مطلقاً ما دامت هناك الصرائف منتشرة، هذه المعالم المنتشرة في أرجاء العراق هي من بقايا العهد المباد. لقد أبدأنا هذا العهد وأبدأنا بناه المستعمر والطامع في بلدنا، وإننا اليوم نزيل تلك المعالم ليحل محلها العيش الرغد والحياة الكريمة". بعد ذلك زف بشرى كبيرة على قلوب إخوانه الفقراء مضمونها أن هذه القرية البداية مدينة سوف تضم معظم أصحاب

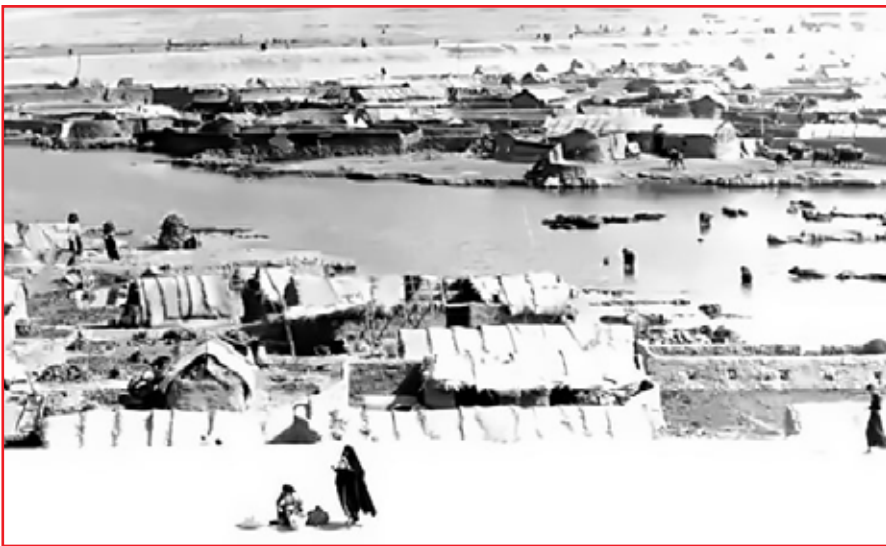
لكي نفهم معنى الاهتمام الذي كان يظهره عبد الكريم قاسم لموضوع الصرائف حول بغداد الذي امتلك كل اهتمامه، وهو تخليص سكان أحياء الصرائف من واقعه المزري، نقول، إن عبد الكريم قاسم أعلن تصميمه يوم ١٦ تموز ١٩٥٩ إنشاء وضع حجر الأساس لمشروع دور ضباط الجيش، فقد ذكر الكل بأنهم وفي طريقهم لحضور الاحتفال قد مروا بأحياء الصرائف بعد ذلك يقول، إننا مصممون على إزالة هذه الصرائف من الوجود داخل العراق، ثم أعلن عن تخصيص الأموال اللازمة لإنشاء الدور الثلاثة لسكان الصرائف، بمكان يبعد عن الاحتفال كيلو مترين فقط. ولعل عبد الكريم قاسم أراد بذلك التحديد الجغرافي أن يقول للجميع بما فيهم ضباط الجيش، أن الثورة تنظر إلى العراقيين نظرة واحدة. ومما يستحق الذكر هنا أن عبد الكريم قاسم أنهى خطابه بهذه الكلمات المعبرة التي كانت بمثابة وعد قطعه على نفسه إذ قال: "وفي اليوم الذي أضع فيه الحجر الأساس للقرى الخاصة لإخواننا أصحاب الصرائف سوف أخرج بنفسني وأحطم أول صريفة أو صريفتين من هذه الصرائف".

كان خطاب عبد الكريم قاسم أمام وفد من رجال الدين من النجف بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٩، أكثر تفصيلاً عما يدور في خياله من أفكار حول إسكان أصحاب الصرائف. لا مفر من أن نتركه يوضح ذلك عندما قال: "إن الثورة سوف تبقى مستمرة ما زال هناك القصور يسكن فيها الأغنياء وما زال هناك الصرائف يسكنون فيها الفقراء، إننا لا نريد أن نقلل من شأن هذه القصور أنما، نريد قصوراً لهؤلاء الفقراء الذين يسكنون في الخرائب وفي الصرائف وبحالة يرثي لها". وأستمر يتحدث عن جوانب البؤس والفاقة التي يعاني منها أولئك المساكين فقال: "إن هؤلاء الذين يسكنون في الصرائف يرتدون الأسمال البالية التي يخافون من غسلها". ثم عزز كلامه ببيت من الشعر العربي:

لي ثياب رثاء لست أغسلها

أخاف أعصرها تجري مع الماء

بالرغم من ذلك، أظهر عبد الكريم قاسم الكثير من التفاؤل بمستقبل هذه الفئة عندما أكد: "سوف يأتي ذلك اليوم الذي ننقذ فيه أمثال هؤلاء الفقراء ونجعلهم بمصاف الناس المرفهين في عيشهم". ولم يكتف بذلك وإنما، أقسم بالله بأن الثورة سوف تستمر بالحق والعدل. المهم أن تتركه مرة أخرى ليقول: "وإنني أقسم بالله العظيم أن



هذا المشروع لإخواننا أصحاب الصرائف، ولنقل منذ الآن لإخواننا أصحاب الدور العصرية المرفهة، سوف تضم هذه المناطق الخدمات الاجتماعية والمدارس والمستشفيات والمصحات وكل وسائل المدنية التي تأخذ بيد الإنسان، وإنني في هذه اللحظة أفتتح هذا المشروع على بركة الله باسم الله، وباسم الاستمرار في محاربة الفقر والجهل والمرض".

لما كانت أحياء سكان الصرائف في بغداد كثيرة جداً أكبر من أن يحلها مشروع بناء ٩١١ داراً، فإن عبد الكريم قاسم اهتدى إلى فكرة أن توفر الحكومة القطع السكنية وتوزيعها على سكان الصرائف بدون أي مقابل، ليقيموا هم بتشييد مساكنهم عليها، على أن تقوم الحكومة ببناء ما تحتاج من خدمات أساسية، وعليه فإنه طلب من وزارة المالية المساعدة في تعيين الأراضي السكنية الصالحة لذلك المشروع.

عن كتاب (عبد الكريم قاسم وسكان الصرائف)

الصرائف عندما قال: "هذه القرية أو المدينة سميت بمدينة الثورة، وهي جزء من أجزاء وأقسام عديدة سوف تنتشر في هذه المنطقة وفي مناطق أخرى وأرجاء أخرى من بغداد والمدن الأخرى في أرجاء العراق". طمأن عبد الكريم قاسم أصحاب الصرائف الذين سوف يقطنون مدينة الثورة، بوجود شبكة شوارع مبلطة تربط مدينتهم ببقية مناطق بغداد وهذا ما يسهل عليهم عملية التنقل من وإلى مدينتهم، وأنها سوف تكون من أجمل المناطق في بغداد في طرقها وحدائقها.

أعلن عبد الكريم قاسم في ختام خطابه عن سعادته الكبيرة لافتتاح هذا المشروع الذي سماه المشروع الإنساني، الذي كان من الواجب. إذ قال ما نصه: "إنه يسرني في هذا اليوم أن أحضر فأفتتح هذا المشروع الإنساني الذي كان من الواجب المحتم علي أن أسعى في سبيل إنشائه وإعداده وأستمر في هذه الروح لإكماله لإخواني أصحاب الصرائف، وإنني اليوم أحضر لأفتتح

رئيس أركان الجيش رفيق عارف وتنظيم الضباط الأحرار

رفعة عبد الرزاق محمد

مذكرة

رحم الله رفيق عارف الرئيس الأخير لأركان الجيش العراقي في العهد الملكي، فقد كان بغداديا حتى النخاع، فطيته هي التي لعبت دورا كبيرا في مضي تنظيم الضباط الأحرار الى النهاية وقيام ثورة تموز ١٩٥٨. لقد (طمطم) ما كان يبلغه من نشاط التنظيم، وقليل من أهميته أمام الثلاثة الكبار: نوري باشا والأمير عبد الآله والملك الشاب فيصل الثاني.



ولم يزل هذا الموضوع الجسيم من غوامض تاريخنا الحديث.. أرى ان الحقيقة لا تكتمل الا بشهادة الفريق الركن رفيق عارف، وهي الشهادة التي بخل عارف ببيانها بشكل علني حتى وفاته في شهر آب ١٩٩٢.

في منتصف الثمانينيات عرفني السيد أنور عبد الحميد السامرائي على احد اقرباء المرحوم رفيق عارف، وهو السيد شفيق القيمجني، وهو ضابط متقاعد وأديب شاعر، وهو شقيق عميد الشرطة الرياضي فهمني القيمجني وقد توفاه الله في ٢٢ تشرين الاول ١٩٩٧.

وجرى الحديث عن ثورة تموز ١٩٥٨ وموقف رفيق عارف، فقال لي ان خاله رفيق عارف رفض رفضا تاما الحديث عن الموضوع او اجراء اي لقاء مع صحفي او باحث على حد سواء، وانه يعرف سر الثورة. بعد ايام التقيت السيد شفيق القيمجني في مكتبة المثنى وأخبرني انه زار خاله رفيق عارف ومعه السيد أنور السامرائي الذي تقع داره بالقرب من دار عارف في الوزيرية، وعلم ان المرحوم عارف شرع بكتابة نكرياته وتسجيل شهادته للحقيقة والتاريخ، ولا ينوي نشرها الا بعد حين... وانه يحتاج الى بعض المراجع لأكمال الكتابة وشحن ذاكرته، فاخبراه ان لهم احد الاصدقاء الشباب، وهو كاتب هذه السطور، يمكنه ابداء المساعدة في ذلك، فوافق بلا تردد، وانه سيكون في استقبالنا في داره بعد يومين.

في اليوم المحدد ذهبت مع السيد شفيق القيمجني وأنور السامرائي الى دار رفيق عارف، الواقعة خلف بناية المجمع العلمي العراقي، وقبيل الوصول الى باب لدار، التقينا الدكتورة عالية سوسة وهي تسكن بيتنا مجاورا، فالتحقت بنا. وفي البداية ذكر المرحوم رفيق عارف ان الدكتور علي الوردني الذي يسكن هو الآخر بيتنا غير بعيد، يزوره بشكل دوري ويتحدثان بأمور تاريخية. ومما ذكره في تلك الجلسة شكره لأحمد حسن البكر الرئيس السابق على اعادته حقوقه التقاعدية كاملة. ولما جرى الحديث عن ثورة تموز نكر انه أمتنع عن الحديث

ولم نزل قائمة محتويات مذكراته وبعض التعليقات بقلمه موجودة لدي.

ورفيع عارف من أسرة بغدادية قديمة سكنت محلة جديد حسن باشا، من أعلام الاسرة حسين افندي القيمجني المتوفى سنة ١٨٩٩ صاحب المجلس الكبير، أعقبه ولداه احمد وعارف، اما أحمد فهو والد الاطباء المشهورين أحسان وأكرم وأنور، واما عارف افندي فهو والد رفيق ورفيع الذي كان أمرا للواء الأول وبرتبة عميد عند اندلاع الثورة. بعد نجاح الثورة تم اعتقاله ومحاكمته أمام المحكمة العسكرية لمحاكمة رجال العهد الملكي، ثم تم الإفراج عنه بعد ثلاث سنوات، وتمت إعادة الاعتبار إليه بعد إلغاء المحكمة المنكورة وإلغاء كافة إجراءاتها. وبقي الفريق الركن محمد رفيع عارف متقاعدا في العراق ولم يغادره، وحج إلى بيت الله الحرام، وتوفي في بغداد أواخر آب ١٩٩٢.

حتى للمقربين منه لأسباب تتعلق بالمصلحة الوطنية وان اكثر المعنيين بالامر احياء، والمسح الي أنه يعرف سر قادة الثورة وصلاتهم، وصلته هو بتلك الوقائع، ونكر ان تلك الاحداث لم تتجرد من حساسياتها التاريخية، لان بناء الدولة بعد ثورة تموز اعتمد على مجريات تلك الاحداث التاريخية الخطيرة.

وانه يتحمل مع المرحوم غازي الداغستاني بعض المسؤولية في ذلك، لموقفهما المتردد مع تنظيم الضباط الاحرار. وانه شرع بكتابة مذكراته بذلك ووضع رؤوس اقلام المواد التي يكتبها، شاكرا الدكتور عالية سوسة على حصولها صورة اضبارته التقاعدية كاملة من هيئة كتابة التاريخ العسكري في وزارة الدفاع، مما يسهل عملية الكتابة والتذكر. لقد زودته فيما بعد بالعديد من الكتب والدوريات والمسموعات ونحو ذلك، ومن الطريف انه كان لا يبالي بروايات بعض الاسماء ويعددها غير أمينة.



رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين
سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

مخبر

العدد (5707) السنة الحادية والعشرون -
الاثنتين (15) تموز 2024

www.almadasupplements.com

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

"20 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون